

## ثانياً: أنواع المناسبات في القرآن وتطبيقاتها

المحاضرة على اليوتيوب

<https://youtu.be/F7dj6vgaANQ>

بعد أن تكلمنا نظرياً عن المناسبات، نريد هنا أن نتعرض أولاً لأنواع المناسبات ثم لذكر بعض نماذج هذه المناسبات القرآنية المتنوعة، ونتعرف على الوجه والعلة فيها، وجدير بالذكر أن تشخيص وجه المناسبة بين الآيات أو بين السور تارة يكون خافياً خصوصاً فيما بين السور، وتارة أخرى يكون ظاهراً كما فيما بين الآيات القرآنية، وسبب ذلك أن الكلام القرآني قلما يتم بآية واحدة، فتتعاقب الآيات في الموضوع الواحد تأكيداً وتفسيراً، أو عطفًا وبياناً، أو استثناءً وحصرًا، أو اعتراضاً وتذيلاً، حتى تبدو الآيات المتعاقبات كالنظائر والمتشابهات<sup>(١)</sup>.

### خمس أنواع للمناسبات في القرآن

المناسبات: تارة تكون فيما بين السور -بناءً على أن ترتيب السور توقيفي- وتارة تكون بين الآيات القرآنية في داخل السورة الواحدة. ومع أننا نعتقد أن الترتيب بين السور اجتهادي لا توقيفي، لهذا سوف نقتصر على القسم الثاني وهو التناسب في السورة الواحدة، وهذا القسم له عدة أنواع:

#### أولاً: المناسبة بين أول السورة وخاتمها

في هذا النوع يكون ارتباط بين أول آية أو أول الآيات وبين آخر آية أو آخر الآيات في السورة القرآنية الواحدة.

﴿الْم \* غُلِبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ١ - ٤]. وقوله تعالى في ختام سورة الروم: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]

(١) انظر: محاضرات في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص ١٥٢.

فإنه في بداية السورة ذكر الله تعالى وعد الله المؤمنين بهزيمة الفرس وانتصار الروم في بضع سنين، وفي خاتمة السورة أمر الله نبيه بالصبر وأكد وعده بالنصر: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ فالأمر بالصبر يكون على نباء هزيمة الروم، واستهزاء الكفار والمنافقين بتأخر النصر، وذلك جاء آخر السورة، وتأكيد الوعد بنصر الروم، وهزيمة الفرس، يكون متصلاً بإخبار الله النبي بنصر الروم وهزيمة الفرس في أول السورة: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٣].

أو مثلاً: المناسبة بين بداية سوره النحل في قوله تعالى: (أتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون)<sup>(١)</sup>، وبين خاتمتها في قوله تعالى: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا أن ربك من بعدها لغفور رحيم)<sup>(٢)</sup>، فقد بدأت بالنهاي عن استعجال امر الله تعالى، هو ما يستدعى الصبر الذي ختمت به السورة.

#### ثانياً: المناسبة بين جملة وأخرى في الآية الواحدة

هناك مناسبة بين جمل الآية الواحدة نفسها، كما الآية ٩٨ في سورة البقرة، في قوله تعالى: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) والجملة الثانية التي تلتها قوله تعالى: (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى). فهذا الجملتان جاءتا في آية واحدة وتركيب واحد، وهنا قد يتساءل: ما هو وجه الارتباط بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت؟ ثم لا بد له من اكتشاف سر الارتباط في تعريض القرآن بأن سؤال السائلين في غير محله، كأنه قال لهم عندما سألوا عن الحكمة في تمام الأهلة ونقصانها: "معلوم أن كل ما يفعله الله، فيه حكمة ظاهرة، ومصلحة لعباده، فاتركوا السؤال عن ذلك، واسألوا عما هو أهم من ذلك في شيء تفعلونه أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونه من البر"<sup>(٣)</sup>.

(١) النحل: ١.

(٢) النحل: ١١٠.

(٣) انظر: البرهان، الزركشي، ج ١ ص ٤١.

### ثالثاً: المناسبة بين الآية وما تليها

مثاله قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، فإنه لما ذكر في أول السورة استحقاق الله تعالى لكل المحامد، وكونه رباً للعالمين، وهو الرحمن الرحيم، وهو مع كل هذا الملك المتصرف في اليوم الذي لا ملك فيه لأحد إلا لله.. كان من شأن كل عاقل أن يُقبل على مَنْ هذه صفاته وتلك عظمته معترفاً بالعبودية له والذل الكامل لجناحه العظيم ملتجئاً إليه طالباً منه العون والمدد، ثم إنه لما حمد وأثنى ومجّد واعترف بالعبودية ناسب أن يستشرف للطلب من ذلك الرب المستعان، فيقول: (اهدنا الصراط المستقيم)) [الفاتحة: ٦].

### رابعاً: المناسبة بين الآية القرآنية والفاصلة

هناك مناسبة وتناسب أيضاً بين الآية وبين الفاصلة التي تختتم بها الآية القرآنية، والفاصلة هي بمنزلة قافية الشعر، فهي أواخر الآيات وما تختتم به الآية من كلمة. وتسمى فاصلة لأن الكلام ينفصل عن بعضه من خلالها. وأمثلة ذلك التناسب كثيرة جداً، منها: قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ \* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)<sup>(١)</sup>. خُتِمت الآية الأولى بقوله: (أَفَلَا تَسْمَعُونَ)؛ لأنه المناسب لذكر الليل السرمد، وهي الظلمة المطبقة لا موضع فيها لحسّ البصر، سوى حسّ السمع يسمع حسيها. وأمّا الآية الثانية، فكان الكلام فيها عن النهار السرمد، فناسبه الإبصار. قال الزركشي: وهذا من دقيق المناسبة المعنوية.

ومنها أيضاً: قوله تعالى: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الأنعام: ١٠٣].

الشيء إذا بلغ في اللطافة غايتها قصُرت الأبصار عن دركه، فناسب قوله: (وهو اللطيف) قوله: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ). والعالم بالشيء إذا بلغ كنهه وأحاط به علماً كان خبيراً

(١) القصص: ٧١-٧٢.

به، فناسب قوله: (الخبير) قوله: (وهو يُدرك الأبصار)، جمعاً محلياً باللام، وهو يفيد العموم الدالّ على إحاطته تعالى. ومناسبة أشد: أنّ قوله: (وهو اللطيفُ الخبيرُ) برهانٌ على عدم إمكان إدراكه بالأبصار وأنّه هو الذي يُحيط بالأبصار، فكان كدعوى مقرونة بشاهد دليل.

#### خامساً: المناسبة الموضوعية في جميع آيات السورة

هناك أيضاً تناسب وارتباط بين جميع آيات السورة الواحدة، فكل الآيات تؤدي غرضاً وهدفاً واحداً، فثمة تناسق موضوعي في آيات السورة، ككل، تضع فكر القارئ للقرآن الكريم، أو التالي له عند موضوع واحد، تدور حوله السورة، وتدبر آيات السورة يعطي أن موضوعات آياتها الجزئية تصب في تشكيل موضوع واحد، وتسهم في جوانبه ومجالاته.

يقول العلامة الطباطبائي: "أن الأغراض والمقاصد المحصلة من السور مختلفة، وأن كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص ولغرض محصل لا تتم السورة إلا بتمامه"<sup>(١)</sup>.

ويحدد لنا الغرض الذي تدل جاءت من أجله سورة الفاتحة، يقول: والغرض الذي يدل عليه سرد الكلام في هذه السورة هو: حمد الله، بإظهار العبودية له سبحانه، بالإفصاح عن العبادة والاستعانة وسؤال الهداية، فهو كلام يتكلم به الله سبحانه نيابة عن العبد، ليكون متأدباً في مقام إظهار العبودية بما أدبه الله به".

وكذلك في سورة آل عمران مثلاً: يقول: غرض السورة: دعوة المؤمنين إلى توحيد الكلمة في الدين والصبر والثبات في حماية حماه، بتنبيههم بما هم عليه من دقة الموقف، لمواجهة أعداء كاليهود والنصارى والمشرّكين، وقد جمعوا جمعهم، وعزموا عزمهم على إطفاء نور الله تعالى بأيديهم وبأفواههم"<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١ ص ١٦.

(٢) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٣ ص ٥.